المجلة العربية، جامعة داكا

المجلد السابع عشر، يونيو ٢٠١٥ و يونيو ٢٠١٦ م

الرثاء في ديوان "سعاد" لزكي قنصل: دراسة تحليلية

محمد ظهير الإسلام *

Abstract

Zaki Consol (1916-1994) is one of the prominent Syrian Arab expatriate poets. His parents migrated to Córdoba, a city in the center of Argentina, before his birth. He was born there and accomplished his elementary education. Although he was born overseas and grew up in a foreign culture, he was able to master in Arabic and Spanish language to an outstanding level by his own effort. Zaki Consol gained popularity among the expatriate Arab people in Argentina because of his exceptional merit in composing Arabic poetry. In his poems patriotism, weal and woe of life in overseas, the beauty and magnificence of nature, human love, apperception etc. have been sketched out lively. When his 8 months old daughter passed away, he became extremely upset and composed an exquisite elegy. This elegy spread out throughout the Arab community in Argentina and to the Arab world within a very short period after its publication. Being charmed people of all ages began to recite the verses of his elegy in the form of songs. In this article the researcher has tried to evaluate the literary value of this amazing elegy after describing the poet's brief biography.

زكي قنصل شاعر سوري من شعراء المهجر العرب، وشاعر الحب والحنين إلى الوطن، وكان عضوا للرابطة الأدبية ولسانها وعضوا لاتحاد الكتاب العرب بسوريا، وهو أرجنتيني المنشأ وعربي الفؤاد. مارس الأدب، الذي خلق له، في المهجر ونظم الشعر وقرضه فيه، فشعره الجزل وعبارته المثيرة، تميز بالأصالة والسلامة وأناقة الألفاظ ورقة المعاني، وكان يغرد

* أستاذ مساعد، قسم العربية، جامعة داكا

في الغربة ويصل صدى ترنيمه إلى الشرق، أصله الثابت وفرعه في السماء. يسبح لخالق الجمال، ويعبر عنه في شعره، وكان له طفلة اسمها "سعاد" التي ماتت في ثمانية أشهر من عمرها، لاقت ربها قبل أن تفتحت البرعمة من البراعم. فحزن الشاعر عليها حزنا شديدا، وبكى بكاء سائلا دموعه على ابنته الفقيدة ورثاها بأن ينظم القصائد التي جمعها في كراسة صغيرة ليخرجها بعنوان "ديوان سعاد" حتى أصدرها سنة ١٩٥٣م. وديوانه بابنة سعاد اشتهرت في المهجر الأمريكي والبلاد الشرقية على السواء. ففي التالي نريد أن نحلل قصائد ديوانه "سعاد" تحليلا مع ذكر نبذة عن حياته حتى ينكشف ما فيه من المرام.

نبذة عن حياة زكي قنصل

إنه ولد في مدينة كوردبا بالأرجنتين سنة ١٩١٦م في بيت متواضع، وانصرف به أهله إلى يبرود (Yabroud) في سوريا بلدة أسرته وهو صغير،[١] وذكر في كتاب *"قصة الأدب المهجري"* أنه ولد في قرية يبرود شمالي دمشق بسوريا سنة ١٩١٧م في الرأي الأول، وفي الرأي الثاني سنة ١٩١٩م، ونشأ فيها وترعرع حتى بلغ إلى سن القراءة والكتابة، فألحقه أبوه بالمدرسة الابتدائية وتلقى فيها ثقافته من مبادئ العربية والفرنسية،[٢] ولكنه ترك المدرسة سنة ١٩٢٥م ليساعد أباه في العمل. ثم ذهب مع والده وأخيه الأكبر إلياس قنصل (١٨١٤م-١٩٨١م) مهاجرا إلى الأرجنتين سنة ١٩٢٩م، وحمل فيها "الكشه" ويجول في المدن المختلفة والقرى المتنوعة لأن يبيع ما حمل من الأشياء المختلفة والمتلونة، وصارع الصعاب، ولكنه كان مائلا إلى الأدب وولع به منذ حداثة سنه، فدرس اللغة العربية والأسبانية على نفسه وتمهر فيهما، وأتقنهما، وفي الفراغ عن العمل طالع الكتب المختلفة مكبا

عليها، حتى اجتمعت فيه ثقافته الأدبية وتكونت ملكتها، وبرزت عبقريته الشعرية، فنظم الشعر وقرضه. وعمل في الصحافة وهو ابن الثامنة عشرة من عمره، واشتغل بتحرير الصحف، وتاجر بالخردة.[٣] وعمل في السفارة السورية التي تقع في بوينس إيرس عاصمة الأرجنتين.[٤] وتزوج فتاة عربية الأبوين سنة ١٩٥٠م، ولدت طفلة على باكورة زواجه وسماها الشاعر باسم سعاد وتوفيت الطفلة وهي ابنة الثامنة من عمرها، فبكى الشاعر ابنته سعاد بقصائد نشرها في ديوان مسمى بـ"سعاد"، ورثاها وحزن عليها أشد الحزن قائلا:

قد كان يضحك لي غدي واليوم أهرب من غدي
ماتت أناشيدي الحسا ن وبُحَّ صوتُ المنشد [٥]

ثم ثلج الله تبارك وتعالى قلب الأبوين بولد اسمه عمر الذي يعمل في الطب متخصصا في جراحة الرأس. وأصدر شاعرنا زكي قنصل مجلة أدبية باسم "المناهل" في بوينس إيرس، وهي لم تستمر إلا ثلاث سنوات.[٦]

وفي سنة ١٩٦٨م عاد زكي قنصل إلى مسقط رأسه الذي يحن إلى رؤيته دائما في الاغتراب، ولكنه أصيب بصدمة حادة مؤلمة، فلذا انصرف منه مضطرا إلي بوينس إيرس بعدما قضى أسابيع قليلة مع أن في صدره ألما وفي قلبه نقمة بعد اتصاله بقريته يبرود.[٧] فالشاعر زكي قنصل نال جائزة ابن زيدون من أسبانيا سنة ١٩٨٨م، ومن استراليا جائزة جبران العالمية سنة ١٩٩١م.

وأخيرا لقي ربه الأعلى سنة ١٩٩٤م في بوينس إيرس، ودفن فيها، وانتهى بوفاته عصر الأدب المهجري من أدباء المهجر العرب.

آثاره

وله آثار عديدة ـــ كسب بها شهرة ضخمة ـــ وهي كما يلي:

١. ديوان شظايا ـ قد طبع سنة ١٩٣٩م.
٢. ديوان "سعاد"، قد طبع في دمشق، سنة ١٩٥٣م.
٣. ديوان نور ونار، قد أصدرت منشورات دار مجلة الثقافة في دمشق، سنة ١٩٧٠م، وقد طبع بالطبعة الثانية سنة ١٩٧٢م في بوينس أيرس عاصمة الأرجنتين بشكل أفضل من طبعة دمشق وآنق.[٨]

٤. ديوان عطش وجوع، قد صدر من دمشق، سنة ١٩٧٤م.
٥. ديوان ألوان وألحان، هذا طبع في الأرجنتين، سنة ١٩٧٨م.
٦. هواجس، ليبيا، تونس، سنة ١٩٨١م.
٧. في متاهات الطريق، دمشق، سنة ١٩٨٤م.
٨. ديوان زكي قنصل، ج ١، سنة ١٩٨٦م.

فقصائد شاعرنا زكي قنصل هي "موسيقي ملائكة تنم عن طهارة الفم الذي ينشدها وبراءة القلب الذي استوحاها، مقاطع قصيرة كعمر الزهور، وألفاظ شفافة لندى الصباح ومعان ساذجة كابتسامات العذارى."[٩]

الرثاء في الشعر العربي على مر العصور

الرثاء هو الشعر الذي ينظمه الشعراء العرب عند وفيات الأقرباء والأصدقاء والأمراء والملوك حتف أنفهم، وعند موت عزيز وغال. وهو وصف الشاعر بالعاطفة الحزينة بجميع صفات ممدوحه، وكان للشعر العربي نصيب كبير في هذا المجال، وله مكان ملموس في الشعر العربي منذ العصر القديم حتى العصر الحديث. وأسهم فيه كثير من الشعراء العرب مثلا النابغة الذبياني (٥٣٥م-٦٠٤م/٦٠٥م)، وأبو عقيل لبيد بن ربيعة بن مالك العامري (٥٦٠م-٦٦١م)، وتماضر بنت عمرو السليمة المعروفة باسم خنساء (٥٧٥م-٦٤٥م)، وعبد الله بن الزبير الأسدي (٦٢٤م-٦٩٢م)، وهمام بن غالب الفرزدق التميمي (٦٥٨م-٧٢٨م)، وأبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث

الطائي (٧٨٨م-٨٤٥م)، وأبو الحسن علي بن عباس بن جريج المعروف بابن الرومي (٨٣٦م-٨٩٦م) وأبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى المعروف باسم الشريف الرضى (٩٦٩م-١٠١٥م)، وأبو بكر ابن اللبانة (- ١١١٣م) وأبو البقاء الرندي (١٢٠٤م-١٢٨٥م)، ومحمود سامي البارودي (١٨٣٩م-١٩٠٤م)، وأمير الشعراء أحمد شوقي (١٨٦٨م-١٩٣٢م)، وعمر أبو ريشة (١٩١٠م-١٩٩٠م)، وإيليا أبو ماضي (١٨٩٠م-١٩٥٧م) شاعر المهجر العرب في أمريكا الشمالية وشاعرنا زكي قنصل في المهجر الجنوبي وما إلى ذلك. فنظم بعضهم مراثي الأمراء والوزراء والحكام مع بيان أعمالهم الجليلة، وبعضهم رثاء العلماء والمفكرين، وذكروا في مراثيهم مناقبهم الحميدة وخصائلهم الحسينة، وآثارهم العلمية والأدبية، والآخرون نظموا مراثي الأهل والأقارب والأصدقاء والزملاء، تمتلئ باللوعة الشديدة المحرقة والألم المتقد الصارم والبكاء المر المسيل، ودعوا لهم الصبر على البلاء والمصيبة، ودعوا لهم رحمة للفقيد من الله تعالى كي يسقى الله تبارك وتعالى لقبورهم، فمن هذه المراثي قصيدة زكي قنصل في رثاء ابنته الفقيدة "سعاد". فنتبين ما في "ديوان سعاد" من الرثاء فيما يلي:

الرثاء في ديوان سعاد

بعد انصرام سنة واحدة من موت "سعاد" نشر الشاعر المهجري زكي قنصل ديوانه الرثائي باسم ابنته "سعاد" سنة ١٩٥٣م، ورثى فيه ابنته الفقيدة، ويحتوي هذا الديوان على ثماني قصائد، وهي: "سعاد"، و"على ضريع سعاد"، و"سرير سعاد"، و"أرجوحة سعاد"، و"لعبة سعاد"، و"عيد سعاد"، و"عروس الزهور"، و"عيدها الأول". وفيه مقدمة قصيرة قدم الشاعر بها مراثيه لابنته التي لاقت ربها، وقال فيها:

> "بنيتي! قد يزدهى العش الكئيب ثانية بالزغاليل والزغاريد، وقد يعود الربيع مرة أخرى إلى هذه الصحراء العابسة يحمل إليها النضارة والخصب ... لقد انقضى عام كامل على ارتفاعك في السماء، ولكن الجرح الذي فتحته في صدري وصدر أمك ما يزال ينزف دما، وينفث نارا، وهذه الزفرات

قطرات من هذا الجرح المشترك أسفحها على ضريحك الزكي في هذه الذكرى الداجية."[١٠]

عبارته قليلة، وأسلوبه جمال، وشاعريته أنيقة، ومعاني العبارة رقة الشعور والإحساس ونبضة القلب والفؤاد.

ثم استهل ديوانه بقصيدة مسماة بـ"سعاد" وقدم لها أيضا تقديما بقوله: "حمل أيار ـــ شهر الهوى والأمل ـــ بشرى سعاد إلى قلب الشاعر، فوقعت عليه وقوع الندى على جفن الزهرة فجاشت نفسه بهذه الأهزوجة."[١١] واختتمه بقصيدة مسماة بـ"عيدها الأول". فانتشر وشاع هذا الديوان بعد طبعه في الغرب خاصة وفي الشرق عامة، ويتغنى بقصائده الأطفال والرجال والنساء.

وقال الدكتور عيسى الناعوري عن ديوانه "سعاد": "في مطلع عام ١٩٥٣م جمع زكي قصائده في فقيدته "سعاد" في كراسة صغيرة أنيقة، وأهدى إلي نسخة منها. فلمست في هذه القصائد القليلة من الرقة والحنان ما أكد لي أن زكي شاعر حق، سامي الغرض، نبيل الروح، رقيق العبارة؛ وأن في شعره من الموسيقى الحلوة، والخيالات المشرقة، ما لا يجتمع مثله إلا للأقلين من شعراء المهجر الأحياء."[١٢]

ففي قصيدة "سعاد" أظهر الشاعر ابتهاجه وسروره وفرحه بقدومها على الدنيا الفانية؛ لأن الصباح ضحك والفجر فرح بعد ولادتها في الكون، وكأن ولادتها أزالت من حياته ظلام الأحزان والهموم التي أرخت سدولها عليه. وابتلى الشاعر بلاء عظيما في الدنيا وتكاثرت فيه الجراح والمعانات الشديدة المحيطة به قبل ميلادها بلا انقطاع، وهذه النازلات كسرت جنبه، ولكنه بعد مجيئها فرح فرحا شديدا وابتهج بهجة وسرورا كأنه يطير بلاجناح ببالغ السرور والفرح، وزال عنه كئابته وجراحه، ويرى عندها الأجنحة النورانية البيضاء من السعادة؛ لأن نظرته إليها برء للجراح التي أصابت به، وخُيِّل له أن سعاد دواء لداءه وجراحه، فقال في قصيدته "سعاد":

ضحِك الصباح فقلت لو لاها لما ضحك الصباح
أهلا عروس الفجر أهلا بالصباحة والصلاح
هاض الأسى جنحي فلما جئت طرت بلا جناح

وتكاثرت فيَّ الجراحُ فكنتِ برءً للجراحْ [١٣]

وظن أن اسم "سعاد" أحلى أسماء البشر، كأنه ترنيمة يترنم بها المغني على شفة الوتر، وكأنه نجوى النسيم يهب على الأشجار، تهتز أوراقها التي تجعل الصوت العذب على السماع، وكأنه قبلة الندى التي تنزل من كبد السماء وتسيل ما بين الأزهار المتلونة والمعطرة، حيث قال:

أ سعاد هل أحلى من اسمك بين أسماء البشر؟
لكأنه أهزوجة نشوى على شفة الوتر
لكأنه نجوى النسيـ ـم يهز أعطاف الشجر
لكأنه قبل الندى تنساب ما بين الزهر[١٤]

وولادة سعاد أزالت معاناة الشاعر فيرتسم على شفتيه الابتسام، ويتمتع بضحكها وتهللها وتدللها، فسعاد سر سعادة الشاعر وهنائه في هذا الكون، وهي تبعث في نفسه ذكرياته المنصرمة؛ لأن سعاد أول أبنائه التي أزالت عنه الهموم والأحزان إذا رأتها في البيت وهي في السرير نائمة أو لاعبة بلعبته. فيرى الشاعر في تلألأ عينيها صورة من آماله الماضية وآمانيه المنصرمة. فسعاد كانت قرة عين الشاعر؛ لأن حركتها وبهجتها وسرورها سعادة له ولكل أفراد البيت. فهي البلبل يشدو ويغرد في البيت ويمنح لكل من فيه وما فيه السعادة. فلما نزلت على الشاعر النازلات لم يستطيع أن ينام إلا ويرى سعاد وقال لها: "**نامي على أهداب عيـني إن نبا بك مرقدُ**"[١٥]، لتخفيف معاناته التي أصيب بها. ويرى طفولته الماضية في وجه ابنته سفرا يقرأه ناظرا.

ففي الأبيات المذكورة آنفا صورة تكتمل لطفلته الرضيعة حيوية دافقة وحركة متدافقة رأسها الحنان وشدة التعلق فيما بينهما، ورسم التصوير الذي غلب عليه التشبيه في بناء الصورة الكبرى، وبث الحيوية وتجسيم المشاعر خلالها: فجمال طلوع الطفلة كالصبح والفجر وكأن اسمها قبل الندى تنساب ما بين الزهور.

فسعاد نشأت في الحنون والعطف وترعرعت في حضن الأبوين ولكن لم تطل حياته أكثر من ثمانية أشهر، فطارت روحها من بدنها الطاهرة وذوت الوردة في الشجر وأسقطت منه على الأرض، وضاقت عليها الأرض بما

رحبت، وضاعت الأغنية الحلوة إلى الأبد، فترنيمات الشاعر العذبة تبدلت إلى دموع صارت قطرة من النار زفيرة في قصيدة بعد قصيدة وهي: "على ضريع سعاد"، و"سرير سعاد"، و"أرجوحة سعاد"، و"لعبة سعاد"، و"عيد سعاد"، و"عروس الزهور"، و"عيدها الأول". فهذه القصائد ينبت منها نبات الأسى والحزن، فالطفلة التي تقول أمامه "ماما وبابا" فقط، ترجع إلى من أتى منه ولم تفصح القول فصيحة. ولكن ترسل إلى الأبوين السعادة بكلمتها التمتمة، وهي لم تبلغ إلى الربيع ليتبلور لونه وجماله ورونقه، بل يبعث موتها إلى نفس الشاعر حزنا صارما وفجعة قاتلة وألما شديدا تحوَّل إلى مراثي الشاعر، وهذه المراثي كانت دموع الأبوة الحنون وسلوات روحه الأليم، وقطرات لوعته العصيرة من عصارات قلبه الفجيع، حيث قال زكي قنصل في قصيدة "على ضريع سعاد":

يا من يرد إلى شِفاهي بسمة الأمل الندي
ويعيد لي ما أفنت الآلام من قلبي الصدى
أنا من أسايَ ومن جراحي في ظلام سرمد
قد كان يضحك لي غدي واليوم أهرب من غدي
ماتت أناشيدي الحسان وبح صوت المنشد.[١٦]

فموتها أتى إلى الشاعر بظلام سرمدي لا يبعد عنه؛ لأنه حبيبه الأول. وانصرامها إلى ربها الأعلى ماتت أغانيه الجمال وأناشيده الحسان وبح صوت المنشد إلى الأبد. وعيون سعاد ليس فيها لألاء مائها ولا في وجهها بشاشة ولا بريق، ولا لمعان، فالشاعر احترق بنار الحزن ملأت جوانحه، وفي الطريق المعبد لحياته مفروش الأشواك، ويرى فيها الظلمة الحالكة من الهموم والأحزان تنزل عليه دائما. فلذا لا يعلم هل يسيل الدموع من عينيه أم لا؟ وهل يستغرق في سيل الدموع أم لايحتاج إليه؛ لأنه ليس له أمل الغريق، وعن ذلك قال في قصيدة "على ضريع سعاد":

أسعاد جئتك لا بشاشة في العيون ولا بريقْ
النار ملء جوانحي والشوك في عرض الطريقْ
دجت الحياة وشاه في عيني محياها الأنيقْ
لا الروض زاه بعد زغلولي ولا عودي وريقْ

ويحي أ أغرق في الدموع وليس لي أمل الغريق؟[١٧]

في البيت الأخير أشار الشاعر إلى الصورة الشعرية الموصلة الألم إلى قلبه، ورسم صورة النفس جرحتها صدمة تريق الدماء، فهو يغرق في دموعه ولكن النجاة لا أمل له فيها من دموعه ولا خلاص له من العذاب الذي تألمت به روحه، وهو قال:

هذا سريرك يا سعاد فأين صاحبة السرير؟
عيني عليه ومهجتي ترتاد حاشية الأثير
جردته لما ذهبت من النضارة والعبير
يا جدولا لا ماء فيه ولا رواء ولا خرير
هل كنت تحلم أن تصير إلى الهوان وأن نصير؟[١٨]

فبعد موتها يخيل له أنها تلعب وتمشي بين عينيه، كأنها لم تغب عنه، فكيف يلبس الشاعر ثوب الحداد وهو حمل في فؤاده شخص سعاد؟ فنظر الشاعر إلى جانب السرير وفيه أرجوحة الكروان لسعاد متلقية تثير في قلبه، وهناك على الرف لعبتها من الدمى التي أثارت نار قلب الشاعر وهاجت دمعه القاني، وفي نظراتها الخرس حكاية أمسى الداني، والدمية لا تفرح لأفراح الشاعر ولا تحزن لأحزانه وهمومه، فلذا قال له أصحابه أن لا ييأس ولا يفجع، ولكن جراحه لا تضمدها رقاة الإنس والجان؛ لأن الجرح إذا هادنه تفجر في جراحه. وهو كالبلبل يشدو في الحزن والفرحان على السواء، لا عزاء له ولا سُلوان، فشاعرنا زكي قنصل دعاه لكي يحي معه بقية العمر حتى يجمعهما الموت في العالم الثاني، قال في قصيدته "لعبة سعاد":

تعالي نحي في الذكرى بقية عمرنا الفاني
غدا يجمعنا الموت بها في العالم الثاني[١٩]

و"في ليلة من ليالي كانون ـــ قبل الفاجعة بستة أيام ـــ مر بعض الضيف بباب سعاد فتركوا لها عبدا أسود هدية عيد، فتشبثت به تشده إلى صدرها وتعطره بأنفاسها، كأنها استشعرت مصيرها القريب فخافت أن يفلت من يديها في رحلتها الأبدية."[٢٠] وعن ذلك قال زكي قنصل في قصيدة "عيد سعاد":

يا عبدها الأسود هيجت آلامي
في وجهك الأربد وأدت أحلامي...
هذه طيوف الصباح على الروابي الكئيبة
فقم نرش الأقاحي على ضريح الحبيبة![٢١]

فسعاد لها هدية عيد ترك الضيوف لها عبدا أسود، ولكن سعاد ارتحلت إلى دار البقاء تاركة هديتها، فهذا زاد آلام فؤاد الشاعر؛ لأنه وضعها في قفر في ملعب الأرياح بعد طيران روحها العاطرة من جسمها إلى ما أتت منه، ويظن أن سعاد تحيا بروحه، وكانت له الحبيبة الأولى لاقت ربها الأعلى، وقد تركت أباها في دار الفناء وحيدا الذي يرش الأقاحي على ضريحها ويضع الزهور على قبرها. فمرت الأيام وانصرمت الشهور وأتى الربيع بجمالها الخلاب من نضارة وشباب، ويطير العندليب بين الأشجار ويغني بين الزهور في الحديقة. فلما انتهى الربيع انقطع غناءه بجمال، فكل هذا كان في نظر الشاعر ماتما باكيا، يألمه ويفجعه ويشقى بقلبه لطول سفر حياته، ليس فيه رجاء بل فيه سراب، وإنه يعلم أن كتاب الحياة فصول، فبعد موت سعاد ختم الكتاب، قال زكي قنصل في قصيدته "عروس الزهور":

كتاب الحياة فصول وهذا ختام الكتابْ
أ أضحك بعد سعاد ويروي غليلي سحابْ؟...
فأين عروس الزهور يضاحكها العندليب؟
كلانا غريب الديار فهل من لقاء قريب؟...
سعاد ارفقي بأبيك لقد طال هذا السفرْ[٢٢]

فذهب الربيع "وعاد كانون يحمل ذكرى الفرحة الكبرى ... ولكن أين البرعم الذي غمر الأرض بالنور والشذا، والزغلول الذي حمل إلى العش البشاشة والمرح؟ إنه حلم وانطوى إنه أمل صريع، وقف الشاعر على حطامه يسقح قلبه في هذه الدمعة"[٢٣] قائلا في قصيدة "عيدها الأول":

أطل على الكون هذا الصباح وفي مقلتي دمعة حائرة
تبسم حولي ثغر الأقاح فنهنهت أنفاسه العاطرةْ
طويت على دم قلبي الجناح مخافة نظراته الساخرهْ
ومات على شفتي الصباح أ يبعثه الله في الآخرهْ [٢٤]

بسبب غياب سعاد ليست في بيت زكي قنصل فرحة وسرور وبهجة، وليس فيه أمل ولا رجاء ولا أمنية، وذهبت القطائف والشراب والأراجيح والمغني والأغاني، فكان كلها عيد الهوى والأماني، والشاعر لا يريد أن يبقى في دار الفناء بل يريد أن يلاقي ربه الأعلى قبل أن يأتي يوم التناد؛ لأنه يعلم، إليه المصير والمآب، حيث قال:

سريركِ يا منيتي هيكل عيدكِ عيد الهوى والأماني...

بنية أين الجوابْ ؟

أحلمي هذا سرابْ؟

إلهي إليك المآبْ [٢٥]

ففي الختام نقول: إن قلب الشاعر يتنزى ألما بما رسم في شعر "ديوان سعاد" الصورة التي نضجت بمرارة الوجع الشديد والألم الصارم، والصورة تنصرف إلى جودة التصوير الدال على براعة الشاعر. واكتملت وحدة قصيدة ديوان سعاد الفنية من وحدة الموضوع إلى وحدة الجو الذاتي، وإلى صدق في الكفاءة وملائمة الألفاظ لمعانيها غدت بناء فنيا يستحيل انقاض بيت منه. واستخدم الشاعر في رثائه لابنته الفقيدة الكلمة الحقيقية كعنصر من عناصر الرسم والتصوير. ويتغنى بالحنان والعطف والأبوة في العلاقات الإنسانية عامة وفي علاقته بإبنته الفقيدة خاصة، ويتغنى بأنشودة لطيفة يترنمها بأبدع صورة وأروعها. ولجأ بعد موت سعاد ملجأ، يلوذ إليه من أرض القنوط والفساد، وملاذه القلم واليراع يبثه ما في ضمائره، فبهذا القلم اختتم رثائه لأن يحكي عن حياة ابنته الفقيدة كل حق وصدق. وانتشر رثاؤه في الغرب والشرق على السواء.

المصادر والمراجع

[١]- الدكتور نزار أباظة ومحمد رياض المالح، إتمام الأعلام (بيروت، لبنان: دار صادر للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)، ص ١٠٢

[٢]- دكتور عبد المنعم خفاجي، قصة الأدب المهجري (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٧٣م)، ط ٣، ص ٧٢٦

[٣]- أحمد قبش، تاريخ الشعر الأدبي الحديث (دار الجيل، ١٩٧١م)، ص ٣٣٩ ؛ جورج صيدح، أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية (معهد الدراسات العربية العالمية، ١٩٥٦م)، ص ٣٠٣-٣٠٤

[٤]- أحمد العلاونة، ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين (جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م)، ص ٨٧؛ معجم الأدباء من العصر الجاهلي حتى سنة ٢٠٠٢م (بيروت، لبنان: منشورات دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، ج ٢، ص ٤٢٣

[٥]- زكي قنصل، الأعمال الشعرية الكاملة، ناشر: عبد المقصود محمد سعيد خوجة (جدة: ١٩٩٥م)، ج ١، ص ٢٥٧

[٦]- قصة الأدب المهجري، ص ٧٢٦

[٧]- أدب المهجر، ص ٥٧٧

[٨]- أدب المهجر، ص ٥٧٥-٥٧٦

[٩]- أدبنا وأدباؤنا في المهاجر الأمريكية، ص ٣٠٤

[١٠]- زكي قنصل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٤٩

[١١]- المصدر السابق، ص ٢٥٠

[١٢]- الدكتور عيسى الناعوري، أدب المهجر (مصر: دار المعارف)، ص ٥٧١

[١٣]- زكي قنصل، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٥١

[١٤]- المصدر السابق، ص ٢٥١

[١٥]- المصدر السابق، ص ٢٥٤

[١٦]- المصدر السابق، ص ٢٥٧

[١٧]- المصدر السابق، ونفس الصفحة.

[١٨]- المصدر السابق، ص ٢٥٨

[١٩]- المصدر السابق، ص ٢٨١

[٢٠]- المصدر السابق، ص ٢٨٢

[٢١]- المصدر السابق، ص ٢٨٣-٢٨٨

[٢٢]- المصدر السابق، ص ٢٩٣-٢٩٥

[٢٣]- المصدر السابق، ص ٢٩٦

[٢٤]- المصدر السابق، ص ٢٩٧-٢٩٨

[٢٥]- المصدر السابق، ص ٣٠٣